فيها بعض سعة سقوفها أقبية مبنية ، ونورها مصابيح كهربائية . ثم زرنا الجهاز الكهربائي الضخم الذي يجر عربات الفحم من مسافة لا تقل عن ميل . ولا تظن العربات تتحرك كما يتحرك الترام ، ولكن بحبل غليظ مشدود بها اذا دار الجهاز دارت اسطوانة كبيرة بسرعة كبيرة فالتف عليها الحبل فانجرت العربات . ثم ذهبنا فرأينا مرابط الخيل التي تجر العربات فيها وراء الميل ، فاذا هي ليست أسعد حالا من خيول جر الاثقال في مصر . وهي شر منها في أنها قائمة نائمة تحت الارض لا ترى الشمس بعد نزولها المنجم حتى تموت .

ثم سرنا بعد ذلك ميلين في طرق تضيق حتى لا تكاد تتسع لشخصين يسيران جنباً لجنب ، كانت من قبل عروق الفحم في الأرض فنقبها العامل بصبره ومعوله ، نائما على بطنه ومستلقيا على ظهره ومائلا على جنبه ومنحنيا وقائما . وكلما نقب خطوات الى الارتفاع المرسوم جاء بالأخشاب الغليظة فجعلها سقفا يحمل طبقات الفحم أو الطين حتى لا تنهال : تحمله من جانبيه قوائم من مثله أقيمت عمودية على جانبي الطريق . ولم يخل سيرنا في تلك الطرقات من تعب ، فكثيرا ما كنا نسير فيها منحنين نحس السقف بأعيننا والأرض بأرجلنا : ولكنا كنا نتخذ من ذلك كله فكاهات نضحك لها . فمن كان يرانا عندئذ كان يرى أشباحا يحمل كل منها مصباحا . ولم يخل منظر المصابيح يتلو بعضها بعضا من بهجة في تلك الظلمة ؛ ثم كان يسمع أصواتا تتجاوب ، فلا يكاد القائد يقول — وكثيرا ما كان يقول : — رأسك والخشبة ! حتى يرفع بها صوته من خلفه ولا يزال الدفع يلقى بها الى فم كلما مر بالخشبة شخص حتى يبلغ آخر الصف . وقد تسمع بين ذلك هـــذا يصيح : وادماغاه ! وذاك : واركبتاه ! أو تسمع سائلا يسأل وآخر يجيب . وأحيانا اذا استقام الطريق كانت ترتفع أصوات ببعض الغناء بعيدا معا . فنجد له عندئذ ما يجد الجندي الذي أتعبه السير الموسيقى . وكنا نظن أننا ذاهبون لنرى القاطعات الكهربائية التي تقطع الفحم : فاذا بالقائد يقودنا كل تلك المسافة ليرينا الفحم أين هو ! فلما سألناه عن القاطعات قال هي في جهة أخرى لا نصل اليها من موقعنا ذلك الا عنـــد منتصف الليل . فرجعنا أدراجنا نقول : متى نبلغ ؟ ولم نبلغه إلا بعد الثامنة . فكتب كل منا اسمه في دفتر الزائرين ثم صعدنا فزرنا المولد الكهربائي الذي يدير تلك الآلات كلها : فاذا آلات يحار فيها الفكر في غرفة عرضها عشرون خطوة وطولها خمس وعشرون ، ويكفي لتقدير عظم آلاتها أن التيار يتولد عن قوة محركة كهربائية قدرها ٢٥٠٠ فولت . ولعل ترام القاهرة لا تزيد القوة المحركة لتياره على خمسمائة .

والعامل في منجم الفحم يتقاضى أجرا كبيرا لما في عمله من الخطر والمشقة . وهو يحاسب على كل طن يقتطعه . وقد يقتطع ما يؤجر عليه ستة جنيهات في الأسبوع . وقد وجدنا أن المنجم مقسم الى مناطق صغيرة كل منطقة لها رمز من عدد أو حرف تعرف به ويعرف به العامل فيها وكلما ملأ عامل عربة كتب رمزه على كل قطعة ظاهرة من فحمها ليعرف أنها له تضاف الى حسابه . والمنجم الذي زرناه كان يستخرج منه في اليوم في ذلك الحين مائة وألف طن من الفحم لقلة العمال . وقبل الحرب كان يستخرج منه حوالى خمسة آلاف طن في اليوم .

محمد احمد الغمراوي

المبـــــارزة

للكاتب الروسي اسكندر بوشكين

كنا نعسكر في قرية روسية صغيرة ، وأنت تدرك بالطبع حياة الضباط وما تكون عليه ، نؤدي في الصباح التمرينات العسكرية ونتدرب على ركوب الخيل ، ثم نتناول طعام الغداء عند قائد الفرقة أو في المطعم اليهودي ، فاذا جاء الليل أخذنا نشرب الخمر ونلعب الورق ، ولم يكن لنا غير هذا الجانب الضئيل من التسلية ، لأن الفتيات الناضجات لم يكن يسمح لهن بالخروج . وكنا نمضي الوقت معا حتى اذا اجتمعنا لم نجد بيننا فرداً لا يرتدي الملابس الرسمية .

ثم تعرفنا الى شخص من غير الجنود ، ومع أنه كان في الخامسة والثلاثين تقريبا كنا نعتبره أكبر من هذا بكثير ، وكنا نعتقد في حكمته وكثرة تجاربه ، ولقد أسرنا نحن الشبان بكرمه وقوة شخصيته وما فطر عليه من التهكم وعدم الاكتراث . وخيل الينا أن وراء هذا كله شيئا يكتمه ، وأن بين ضلوعه سراً يطويه . ولقد نبئنا أنه كان في فرقة الفرسان يشهد له الجميع بالتفوق والنشاط ، ثم استقال منها فجأة لسبب مجهول ، واعتكف في هذه القرية الصغيرة ؛ ومع قلة معاشه كنا نراه ينفق عن سعة ويفتح بيته لنا نحن الضباط ، فاذا جلسنا الى مائدته استطعنا أن نأكل ثلاثة أصناف من الطعام ، وأن نشرب الكثير من كؤوس الشمبانيا ! ولم نكن نعرف شيئا من شؤونه الخاصة ، غير أن الذي يعد له طعامه هو خادمه العجوز الذي كان في مطلع حياته جنديا ؛ ولم يجسر أحد على سؤاله عن حياته أو ماضيه .

وكانت له مكتبة حافلة بالكتب — معظمها خاص بالجندية وما

يتصل بها — يعيرها مسروراً ولا يسأل عنها بعد ذلك ، كما أنه اذا استعار كتابا لم يفكر في رده الى صاحبه .. فاذا دخلت غرفته وجدت جدرانها مغطاة بظروف الرصاص فيكسبها ذلك شكل عش الزنبور : ولم يكن في داره من معالم الترف غير مجموعة ثمينة من البنادق والاسلحة .

وهو يرتدي في الغالب سترة زرقاء . فاذا نظرت الى ملامح وجهه وجدته روسيا في الصميم ، مع انه يحمل اسما أجنبيا . ولقد كان ماهراً في الرماية الى حد أنه يصوب بندقيته الى خوذة الواحد منا فيصيبها دون أن ينال صاحبها بسوء .. وكثيراً ما تحدثنا عن المبارزة ، ولكن « سيلفيو » — ولنسمه بهذا الاسم — لم يكن يشترك معنا في الحديث ، فاذا ما سأله أحدنا عما إذا كان قد تبارز في حياته ، رد بالايجاب ولم يزد ، وخيل الينا أنه يكره هذا الموضوع لانه يثير ذكرى حادثة معينة قتل فيها فرد معين من ضحاياه العديدين .

وفي ذات يوم كان يتناول طعام الغداء في منزل « سيلفيو » ثمانية أو تسعة من الضباط ، وكنت أحدهم ، واذكر أننا شربنا وأسرفنا في الشراب ، فلما انتهينا من طعامنا رجونا من مضيفنا أن يكون أمين الصندوق في لعب الميسر ، ولكنه رفض ، لانه قلما يلعب ، فلما أصررنا طلب لنا الورق وجلسنا الى جانبه على شكل دائرة أخذنا نلعب .

لم يتحدث الرجل أثناء اللعب ولم يجره الى المعارضة أو الشرح ، وكان إذا أخطأ أحدنا أعطاه ماله أو حجز ما عليه لنفسه . وكنا جميعا نعرف طريقته .. وحدث أثناء اللعب أن ضاعف أحدنا — وكان ضابطا حديث العهد بمعسكرنا — رهانه على ورقة بالذات دون قصد منه لانشغاله وذهوله ، فما كان من سيلفيو إلا أن تناول قطعة الطباشير وكتب المبلغ المطلوب فقط .. عارض الضابط وأراد أن يصحح خطأه ، ولكن سيلفيو لم يعره اهتمامه ، وظل يدير اللعب كأن لم يحدث شيء .. وهنا تناول الضابط الطلاسة ومحا الارقام ، فأجاب مضيفنا على ذلك بأن أعاد كتابتها في هدوئه المعهود . كان الضابط متأثراً بالشراب وباللعب وبضحكات زملائه الساخرة فظن أنه أهين ، وتناول شمعدانا رمي به وجه سيلفيو ولكنه انحنى قليلا الى الامام فأخطأته الضربة . فدهشنا جميعا وانتظرنا ماذا يكون بينهما .

وقف مضيفنا شاحبا ، وسدد الى الضابط نظرات دونها نظرات النسور وقال له « لتغادر المكان يا سيدي ولتشكر الله على أن ما حدث كان في بيتي »

ولم نشك لحظة في نتيجة هذا الحادث وما سوف يسفر عنه من قتل زميلنا الجديد ، ونظرنا جميعاً اليه وهو يغادر المنزل في وجوم معلنا استعداده لمقابلة سيلفيو في الوقت الذي يراه . وطبيعي ألا يستمر اللعب بعد ذلك كثيراً لاننا انصرفنا واحدا بعد واحد لما رأيناه على مضيفنا من علائم الذهول والانفعال . ولم نكد نعود الى معسكرنا حتى أخذنا نتحدث فيما سيؤول اليه هذا الحادث الفريد

وفي صبيحة اليوم التالي عندما كنا نقوم بتمريننا العادي على ركوب الخيل تساءلنا هل مات الضابط أم لا يزال على قيد الحياة ؟ ولكنه ظهر بيننا ، فدهشنا للأمر وأمطرناه وابلا من الاسئلة ، فأجابنا أنه لم يتلق دعوة ما الى المبارزة من سيلفيو . وأسرعنا الى زيارة الرجل في منزله فوجدناه يتدرب على اطلاق الرصاص وقد ألصق بالباب غرضا جعل يصوب الطلقات اليه تباعا فلا يخطئه . فلما رآنا تلقانا كعادته ، ولم يذكر لنا شيئا عن حادث الليلة الماضية .. ومرت ثلاثة أيام والضابط لا يزال على قيد الحياة ، ونحن نتساءل (ألا يتبارز سيلفيو ؟) أجل لن يتبارز الرجل ! بل راح يشرح الاسباب العرجاء التي لم تقنع أحدا منا

وهذا الرفض وذلك الاحتيال من جانب الرجل أساء الى سمعته بيننا نحن الشبان ، لأن الشباب لا يغتفر الجبن ، ويعتقد أن الشجاعة خير الصفات التي يجب أن يتصف بها المرء في جهاد الحياة ، وأن الشجاع يستبيح لنفسه كل شيء : يحلل الحرام ويحرم الحلال . ولكن سرعان ما نسينا كل شيء بعد مدة ، وسرعان ما استعاد سيلفيو مكانته القديمة بيننا .

وفي الحق أن رأيي في هذا الرجل لم يعد إلى ما كان عليه ، لانني رومانتيكي في خيالي وتفكيري ، ولقد أحببت هذا الرجل أكثر من غيري ، مع أنه كان لغزاً للجميع . وكنت أصوره دائما بطلا لدرامة رائعة . وكنت واثقا من أنه يحبني ، فاذا انفرد بي ترك تهكمه اللاذع وراح يتحدث معي في شتى الموضوعات ، ولكني بعد الحادث المعروف لم أكن أطمئن اليه ولا أرتاح إلى حديثه ، لاعتقادي أنه أهين ولم يغسل إهانته بالدم ، وكنت أتحاشى مقابلته أو النظر اليه

وكان الرجل من الذكاء ونفاذ البصيرة بحيث أدرك تماما سبب تغيري ، وخيل الي مرتين أنه يريد أن يتحدث الي في هذا الموضوع ولكني تحاشيته ولم يصر من جانبه على الحديث

(يتبع) عبد الحميد يونس